أي دور لأقسام العقيدة ومقارنة الأديان في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية؟

د. يوسف الكلام/المملكة المغربية

مقدمة

إنَّ المتدبر لسور القرآن وآياته يدرك بجلاء الأهمية التي أولاها كتاب الله تعالى لأركان الإيمان، فلا تخلو آية كريمة من آيات الذكر الحكيم إلا وتجد فيها دعوة صريحة أو ضمنية إلى ضرورة الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، وحتى الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أو تلك التي قصت علينا أخبار الأمم الماضية لا تخلو من هذه الدعوة، إذ كل عمل في الشريعة ينبني على أصل مهم وهو إخلاص النية لله عز وجل، وإذا غاب هذا الركن الإيماني بطل العمل بمقتضى الشريعة إذ لا فرق عند غياب النية بين المسلم الممتثل للشريعة وغيره.

وبذلك تكون كل نصوص القرآن دالة على ركن اعتقادي آمرة به إما بشكل مباشر كما هو الشأن في الآيات المكية ذات الموضوع العقدي، أو بشكل غير مباشر كما هو الشأن بباقي الآيات المدنية ذات الموضوع التشريعي.

وعليه لم يغفل القرآن الكريم أي طريق موصل إلى الإيمان إلا بينه وأوضح معالمه، ولم يكتف بتقرير عقائده مجردة عن الدليل، وإنما عرضها بأسلوب حواري مقنع

واستفز عقول الناس وحثهم على النظر فيما ألفوه من عقائد وورثوه عن الآباء والأجداد، إذ هدفه أن يؤمن الناس على اقتناع، ولم يشأ الله تعالى إكراههم على الإيمان وإن كان بمقدوره ذلك ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1]، فكان هدفه أن يناقش المؤمنون كل أركان العقيدة مناقشة عقلية علمية ضافية حتى تستقر في قلوبهم، إذ من يؤمن بعقيدة ما على اقتناع، تترسخ في قلبه ويثبت عليها ولا يمكنه الرجوع عنها أبدا.

منهج القرآن في إثبات أركان الإيمان الإسلامي:

اتبع القرآن الكريم منهجا علميا يهدف إلى إيصال الناس إلى القناعة بما يعرضه عليهم من أفكار وعقائد وشرائع، وانطلق أساسا من ركيزة أولى هي عرض المعتقدات الباطلة التي سادت قبل نزوله، مبينا أماكن الزيغ فيها مصححا ما اعوج منها باعتباره مكملا لما سبقه من الأديان مهيمنا عليها، فذكر عقائد المشركين وبين افتقارها للسند العلمي وارتكازها على ضروب من الظن والتخمين،﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[2]، وبين تهافت مبررات المشركين التي يستندون إليها في ادعائهم الشريك لله عز وجل، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[3]، وفضح حقيقة شركائهم وبين عجزهم وعدم أهليتهم للألوهية ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا

1- سورة الشعراء، آية: 4.

2- سورة يونس آية: 66.

3- سورة الزمر الآية: 3.

يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِي فَلَا تُنظِرُونِي﴾[1]، منهيا حواره مع المشركين ببيان أن عقيدة الشرك مستحيلة في العقول السليمة، ضاربا لهم الأمثال على ذلك ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[2] مستدلا بالأدلة العقلية العلمية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4]، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[5].

وإذا كانت عقيدة التوحيد هي العقيدة الأساسية التي ناقشها القرآن مع المشركين، ولم يقبل منهم قولهم بالخالقية فقط ودعاهم إلى التوحيد الخالص توحيد العبودية لله وإفراده عز وجل بها، فقد خصص مجموعة من الآيات الأخرى لإثبات باقي العقائد الإسلامية الأخرى، فناظر المنكرين للبعث المستبعدين لحدوثه واتبع معهم

1- سورة الأعراف الآيات: 190–195.

2- سورة الزمر، الآية: 29.

3- سورة الأنبياء، الآية: 22.

4- سورة المؤمنون، الآية: 91.

5- سورة الإسراء الآية: 42.

منهجا خاصا، وارتكز في البداية على عرض دقيق لأقوالهم وأدلتهم في الإنكار، ثم رد ادعاءاتهم مبينا بطلانها بالدليل العقلي ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، وقال تعالى أيضا على لسان هؤلاء المنكرين: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[2]، فنبه الله تعالى المنكرين للبعث أن السؤال الجدير بالعقول السليمة هو سؤال كيفية وقوع الخلق الأول وليس إعادة الخلق، إذ الذي يستطيع أن يخلق مرة يقدر أن يعيد الخلق مرات عديدة.

وبين تعالى في آخر سورة يس أن قدرة الله تغير من طبيعة الأشياء إلى نقيضها، وبالتالي فالبعث ليس بالعزيز على الله المقتدر: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[3]، فالله بقدرته التي جعلت من الشجر الأخضر نارا باستخراج زيت يوقدون منها – والعادة أن النار تحتاج الشجر اليابس للاشتعال – قادر على أن يحيي العظام وهي رميم.

1- سورة الإسراء، الآيات: 98-99.

2- سورة الإسراء، الآيات: 49-51.

3- سورة يس، الآيات: 77-80.

وبين في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[1] أن الصعوبة والاستغراب الحقيقيين هما في الخلق الأول وليس في إعادة الخلق.

ولم يقتصر القرآن على عرض الأدلة العقلية الدالة على البعث والحساب، وإنما قدم أدلة حسية عديدة تمثلت مرة في ذكر قصص تاريخية تثبت قدرة الله على الخلق، من خلال ذكره لقصة صاحب الحمار وقصة أهل الكهف، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، ومرة أخرى بالتنبيه والدعوة إلى النظر في آيات إعادة الخلق في الطبيعة التي تدل على قدرته تعالى على الخلق وإعادة الخلق، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

أما عقيدة النبوة فقد أثبتها الآيات القرآنية من خلال دفع كل التهم التي ألصقها المنكرون للنبوة بالنبي ﷺ، وبيّن مفهوم النبوة الصحيح النقي من شبهات السحر والكهانة وإطلاع الغيب وصفات الآلهة الباطلة ولم يترك قذفا ولا تهمة رمى المنكرون بها نبي الإسلام عليه السلام، أو اتهموه بها إلا وأوردها ثم ردها وأدحض حججهم فيها، فرد عنه تهمة الساحر والمجنون و الكاهن والشاعر، و بين أن كل هذه الادعاءات مردها عدم تمييز هؤلاء لمفهوم النبوة التي يدعيها محمد عليه السلام عما كان سائدا عندهم من مفاهيم، حيث كانوا يعتقدون أن لابد لهذا الذي يدعي النبوة

1- سورة الروم، الآية: 26.

2- سورة الزمر، الآية: 42.

3- سورة الروم، الآية: 50.

أن يكون ملكا أو تربطه بالله صلة غير كونه عبدا بشرا فقال : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[1]، و قال :﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾[2].

أما ما كانت تعتقده العرب في الملائكة فقد بيّن الله تعالى في محكم كتابه بطلان ما يعتقدون، منزها سبحانه وتعالى نفسه عن الصاحبة والولد والبنات، ومن الأدلة التي ساقها الله تعالى لبيان بطلان القول بأن الملائكة بنات لله دليلان بليغان أولهما أن هذا الادعاء غير قائم على دليل علمي، ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾[3] ثانيهما إنكار من الله لهؤلاء الذين ينزهون أنفسهم عن البنات ويكرهون أن يولدن لهم ومع ذلك ينسبونهن إلى الله تعالى﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[4]، وختم الله قوله معهم بالإشارة إلى أن

1- سورة الذاريات، الآية: 52.

2- سورة الإسراء، الآيات: 90-94.

3- سورة الإسراء، الآية: 40.

4- سورة النحل، الآيات: 57-59

الملائكة مخلوقات لله لا يعصون خالقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] لا يوصفون لا بالذكورة ولا بالأنوثة لاختلاف طبيعتهم الخلقية عن الخلق البشري﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[2].

ولما كان الإسلام الحلقة الخاتمة في سلسلة الأديان السماوية، جعل من أركان الإيمان: الإيمان بالأنبياء السابقين وعدم التفريق بينهم، كما اعتبر الإيمان بالكتب السابقة أيضا ركنا من أركان الإيمان، ولكن القرآن الكريم نبه على مسألة في غاية الأهمية تتعلق بمصداقية وصحة هذه الكتب لما أشار إلى التبديل والتحريف الذي لحقهما، فبعد أن ذكر كثيرا من عقائد أهل الكتاب وشرائعهم وقص حكايتهم مع أنبيائهم، تعرض للفساد والتحريف الذي عرفته عقيدتهم نتيجة لغلوهم في الدين، وبين كتاب الله الكريم أن رفض أهل الكتاب للإسلام ورسوله هو من باب العناد والتعصب، فقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[3].

وإذا كان كتاب الله قد اعترف باليهودية ديانة سماوية، واعترف بأن التوراة كتاب الله المنزل على كليمه موسى عليه السلام، فقد أنكر على اليهود ما هم عليه وبين أنه مخالف لما جاء به موسى عليه السلام، فخطأهم فيما يتصورون بخصوص الذات

1- سورة التحريم، الآية: 6.
2- سورة الزخرف، آية: 19.
3- سورة البقرة: الآية: 119.

الإلهية وما يصفون به الله تعالى من نقص كوصفهم له بالفقر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1]، وقولهم إن يده مغلولة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾[2] وادعائهم أن عزيرا ابن الله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[3]. وأما عن ما ألحقوه بكتبهم من تحريف فقد وردت عدة آيات في ذلك، منها قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[5]، وقال أيضا: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[6].

أما النصارى فقد ركز القرآن عند ذكره لهم بالدرجة الأولى على عقيدة التثليث التي يقولون بها، فرفض ادعاء القائلين أن الله هو المسيح بن مريم، وادعاء القائلين أنه تعالى ثالث ثلاثة، فهما مقالتان مخالفتان لمبدأ التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام ومن قبله من الأنبياء، فقال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

1- سورة آل عمران، الآية: 181.

2- سورة المائدة، الآية: 66.

3- سورة التوبة، الآية: 30.

4- سورة آل عمران، الآية: 77 .

5- سورة البقرة، الآية: 78.

6- سورة المائدة، الآية: 43.

اللَّـهَ هُـوَ الْمَسِـيحُ ابْـنُ مَـرْيَمَ﴾[1] وقـال أيضـا: ﴿ لَقَـدْ كَفَـرَ الَّـذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّـهَ ثَالِـثُ ثَلَاثَـةٍ﴾[2]. وأنكر القرآن على لسان المسيح أن يكون هذا الأخير قد دعا الناس إلى عبادته وبرأه من هذه الفرية التي نسبت إليه حيث قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]. وبين الباري تعالى أن المسيح بشَر كسائر البشَر لما قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[4]، وصفة الأكل والشرب وما يترتب عنهما ليستا من صفات الألوهية.

وحرص القرآن على أن يبين أن أول ما تلفظ به المسيح وهو في المهد اعترافه بالعبودية لله عندما قال: ﴿إني عبدُ الله﴾[5]، أما ولادته المعجزة فقد بين القرآن أنها أمر ليس بالعزيز على الجبار المقتدر في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ

1- سورة المائدة آية 74

2- سورة المائدة آية 75

3- سورة المائدة آية 118-119.

4- سورة المائدة آية 77

5- سورة مريم، الآية: 29.

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] فأمر ولادته وخلقه عليه السلام كخلق آدم بل أيسر، فآدم خلق من غير أب ولا أم.

إن هذا المنهج الاستدلالي في إثبات العقائد التي جاء بها الإسلام كان الصراط الذي سار عليه علماء الإسلام، والسراج الذي أضاء لهم الطريق للوصول ولإيصال الحق.

دور تدريس العقيدة وبيان مكانتها في تكوين شباب مسلم قوي.

من هذه الآيات القرآنية، ومن خلال المنهج القرآني تتضح عناية القرآن بإثبات عقائد الإسلام وحرصه على أن يكون توحيد الله أول ما يترسخ في قلوب المؤمنين، يتجلى دور تدريس العقيدة للشباب المسلم، خصوصا في ظل الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم المحاط بأنواع الغزو الفكري والثقافي المتعددة، والمحاصر اقتصاديا وسياسيا من طرف المنصّرين والمستعمرين. ولعل ما يعانيه الشباب المسلم من ترد في الأخلاق والقيم ومن ابتعاد عن تعاليم الدين السمحة هو ناتج عن ضعف في عقيدتهم، ولنا في القرآن الكريم وفي سيرة النبي عليه السلام وطريقته في تربية صحابته على العقيدة الصحيحة قدوة حسنة. وتتجلى قيمة تربيته ﷺ لصحابته في ثباتهم رضوان الله عليهم على الدين وعدم تفريطهم في عقيدتهم مع ما لاقوه من تعذيب واضطهاد من طرف أعدائهم، وتتميز تربيته ﷺ لهم بالمقارنة بينهم وبين أتباع المرسلين السابقين، فالمتدبر لنصوص التوراة يلاحظ أن دعوة موسى لقومه لم تكن مبنية على الإقناع بل على سبيل الأمر والاتباع ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ

1- سورة آل عمران، الآية: 58.

أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]، فهؤلاء الذين خرجوا مع موسى في أكثريتهم العظمى لم يخرجوا معه إيمانا بدعوته واقتناعا بعقيدته، وإنما خرجوا بحثا عن النجاة من فرعون وظلمه، ولعل هذا ما جعلهم ينقلبون عليه في أول امتحان لهم، وهو لما رأوا البحر أمامهم وجنود فرعون خلفهم، ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2] ولسطحية اعتقادهم نجد الموقف نفسه يتكرر وبصورة أخطر، وذلك لما أتوا على قوم وثنيين طالبوا موسى بنقيض ما جاء يدعو إليه، طالبوه بالوثن الذي جاء يحررهم منه ﴿إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3]. والموقف المذكور في القرآن ذاته نجده في التوراة، التي أشارت في غير ما سفر إلى كُفر بني إسرائيل وارتدادهم عن عقيدة التوحيد، ويصف ابن حزم كثرة ارتدادهم بقوله: " فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام، إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور، سبع رِدات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا بعبادة الأصنام، فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية ثمانية عشر عاماً، والثالثة عشرين عاماً، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام، وربما أكثر والسادسة ثمانية عشر عاماً، والسابعة أربعين عاماً."[4]، وتابعوا ارتدادهم وكفرهم بالله حتى بعد داود وسليمان، وانقسام مملكتهما إلى مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل، وقد تتبع ابن حزم

1- سورة الشعراء، الآية: 16-17.

2- سورة الشعراء، الآية: 61.

3- سورة الأعراف، الآية: 139.

4- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى، 1996م ، الجزء الأول، ص: 290.

تاريخ المملكتين كما تذكره التوراة نفسها، ووقف مع طبيعة الكفر التي رافقت هؤلاء القوم طوال قيام مملكتيهم، "فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بني إسرائيل، حاشا سبط يهوذا وبنيامين، ومن كان بينهم من بني هارون بعد سليمان عليه السلام، مدة مائتي عام وواحد وسبعين عاماً، لم يظهر فيهم قط إيمان ولا يوماً واحداً فما فوقه، وإنما كانوا عُبّاد أوثان، ولم يكن قط فيهم نبي إلا مخاف، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر، ولا كان عندهم شيءٌ من شرائعها أصلاً. مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم، وهم عشرون ملكاً، قد سميناهم إلى أن أوجلوا ودخلوا في الأمم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين، وانقطع رسم رميمهم إلى الأبد. فلا يعرف منهم عين أحد. وظهر يقيناً أن بني يهوذا وبني بنيامين كانت مدة ملكهم، بعد موت سليمان عليه السلام، أربعمائة سنة على أعوام، على اختلاف من كتبهم في ذلك، في بضعة عشر عاماً، وقد قلنا أنها كتب مدخولة فاسدة. ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان بن داود عليهما السلام تسعة عشر رجلاً، ومن غيرهم امرأة تموا بها عشرين ملكاً، قد سميناهم كلهم آنفاً، كانوا كفاراً معلنين بعبادة الأوثان، حاشا خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد وهم: اشا بن أسا، ولي إحدى وأربعين سنة. وابنه يهوشافاط بن اشا، ولي خمساً وعشرين سنة. فهذه ستة وستون اتصل فيهم الكفر ظاهراً وعبادة الأوثان. ثم ثمانية أعوام ليورام بن يهوشافاط لم نجد له حقيقة دين، فحملناه على الإيمان لسبب أبيه. ثم اتصل الكفر ظاهراً، وعبادة الأوثان في ملوكهم وعامتهم، مائة عام وستين عاماً مع كفر سائر أسباطهم، فعمهم الكفر وعبادة الأوثان في أولهم وآخرهم"[1]. إن غياب التربية

1- ابن حزم، الفصل ج1، ص: 297.

العقدية عند شعب إسرائيل هي التي جعلت قلوبهم تتقلب بين الإيمان والكفر، وربما تثبت على الكفر أكثر من ثباتها على الإيمان.

والشيء نفسه نلحظه مع أتباع المسيح الذين تذكر الأناجيل أنهم حواريوه وتلامذته، فهؤلاء بنص الأناجيل الأربعة لم يتبعوا المسيح بعد اقتناع برسالته أو بعد مناقشة علمية تثبت بها العقائد التي جاء عليه السلام يدعو إليها، وإنما تبعوه بناء على الأمر الذي وجهه إليهم فقد ورد في إنجيل متى قوله: "وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل، أبصر أخوين سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخاه، يلقيان شبكة في البحر، فإنهما كانا صيادين، فقال لهما: هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس، فللوقت تركا الشباك وتبعاه. ثم اجتاز من هناك، فرأى أخوين آخرين: يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه، في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما، فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه"[1]، ولهذا الإتباع غير المبني على الاقتناع برسالته عليه السلام نجد كل هؤلاء التلاميذ تخلوا عنه في ساعة العسرة، لما أحاط به عليه السلام عسكر الروم يبحثون عنه، في هذه اللحظة الحرجة فروا عنه تاركينه يلقى مصيره المحتوم "في تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تمسكوني وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء **حينئذ تركه التلاميذ كلهم** وهربوا"[2]، بل إن أفضلهم بزعمهم وهو بطرس أنكره ثلاث مرات، "أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار، فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي، **فأنكر** قدام الجميع قائلا: **لست أدري**

1- متى4: 18-22.

2- متى26: 55-56.

ما تقولين، ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري، **فأنكر أيضا بقسم إني لست أعرف الرجل**. وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس: حقا أنت أيضا منهم فإن لغتك تظهرك؟ فابتدأ حينئذ **يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل**"[1]، وأخبتهم يهوذا الإسخريوطي دل الجنود عليه مقابل مبلغ زهيد من المال، "حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه"[2].

إذا قارنا سيرة أتباع موسى وأتباع عيسى بسيرة أتباع المصطفى ﷺ نجدهم رضوان الله عليهم دافعوا عن نبيهم وعن معتقداتهم الإسلامية بأموالهم وأنفسهم وجاهدوا مع رسوله وأوذوا في سبيله وقاتلوا وقتلوا، ولم يرتد أحد منهم عن دينه؛ وذلك لمكوث النبي ﷺ بتوجيه من ربه مدة ثلاث عشرة سنة يعلمهم مبادئ العقيدة ويثبتهم عليها، ولما رسخت في قلوبهم لم تثبط عزيمتهم ولم تزعزع عقيدتهم مكائد الكفار وتعاذيبهم، وإنما زادتهم إيمانا مع إيمانهم. فكانوا نصرا للإسلام مدافعين عن نبيه وكتابه وشريعته لا يخافون في الله لومة لائم، فنجد الصحابة لا يخذلون نبيهم يوم بدر ويقول له المقداد بن الأسود: "إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: " اذهب أنت ورَبك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون"، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.".

1- متى26: 69-74.

2- متى26: 14-16.

دور الجامعات الإسلامية عموما، وأقسام العقيدة خصوصا في ترسيخ العقيدة الصحيحة.

لقد استوعب علماء الإسلام قول النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"، واستوعبوا خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقهم لحفظ دين الله، فإذ كانت مهمة إرساء قواعد الدين مهمة النبي ﷺ الأولى، فمهمة حفظه هي مهمة العلماء الأساسية، من هنا تنبه هؤلاء إلى دور العقيدة في استمرار دين الإسلام ودوامه وانتشار الحكم الإسلامي، ولعل نشوء علم الكلام باعتباره علما يعنى بالدفاع عن العقائد الإيمانية للمسلمين خير دليل على وعي العلماء المسلمين بهذا الدور الجليل والمكانة الرفيعة للعقيدة وعلمها، فقعدوا لهذا العلم ووضعوا أسسه، واستطاعوا بفضله الذود عن الإسلام والدفاع عن معتقداته ضد معتقدات الشعوب والأمم المجاورة للمسلمين من يهود ونصارى ومجوس وغنوص وغيرها من المعتقدات المختلفة.

من المؤسف جدا أن يتخذ الباحثون المسلمون اليوم هذا الفكر الكلامي مهجورا، بدعوى أنه فكر عقيم يناقش قضايا نظرية مجردة، هي عبارة عن ترف فكري لا غير، بالإضافة إلى ادعاء أن قضاياه هذه لم يعد لها اليوم وجود، وأن الواقع الإسلامي اليوم يعرف تحديات جديدة، من قبيل العولمة والحداثة والعلمانية والإلحاد والتنصير والمذاهب الفكرية المختلفة، وكلها تحديات لا يجيب عنها الفكر الكلامي القديم. والحقيقة خلاف ذلك إذ إن علم الكلام علم انبثق من الواقع الإسلامي ونشأ للتصدي ومواجهة التحديات المختلفة، واتبع في ذلك منهجا علميا قويما لرد العقائد الباطلة والتدليل على صحة عقائده، وإذا كانت التحديات تختلف من عصر إلى

عصر، فهذا لا يعني أن المنهج المتبع من قبل المتكلمين وهو المنهج الجدلي التناظري القائم على العقل يجب أن يتغير بالضرورة.

إن قوة المنهج الكلامي[1] هاته، جعلت علماء الإسلام الذين عرفوا بموقفهم من علم الكلام من حيث موضوعاته يتبنونه، ومن أشهر هؤلاء العلماء ابن حزم وابن تيمية رحمة الله عليهما، فالإمام ابن حزم يعتبر منهج المناظرة ضروريا للوصول إلى الحقيقة، ويعتبره منهجا قرآنيا أسست له نصوص القرآن، يقول ابن حزم: "قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن المتبعون لإبراهيم عليه السلام في المحاجة والمناظرة فنحن أولى الناس به وسائر الناس مأمورون بذلك. قال الله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ومن ملته المناظرة كما ذكرنا فمن نهى عن المناظرة والحجة فليعلم أنه عاص لله عز وجل مخالف لملة إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما"[2]. فرغم موقف ابن حزم من علم الكلام فهو يقر بالأصالة القرآنية لمنهجه.

والمنهج نفسه يتبعه ابن تيمية، ولعل كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول محاولة يريد من خلالها بيان أن النقل الصحيح لا يمكنه أن يناقض العقل الصريح، ويؤكد ذلك العنوان الآخر للكتاب درء تعارض العقل والنقل. فابن تيمية رغم موقفه من علم الكلام والمتكلمين، فقد اتبع منهجهم، فهو نفسه سعى إلى

1- للمزيد من المعلومات عن قوة المنهج الكلامي، يمكن مراجعة المقال القيم لفضيلة الدكتور عبد المجيد النجار، "واقعية المنهج الكلامي"،

2- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق محمد أحمد شاكر، مطبعة السعادة الطبعة الأولى الجزء 1 ص: 21.

إثبات مذهبه بالجدل والمناظرة وعرض مذاهبهم على ميزان العقل. والمطلع على كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أو منهج السنة، سيلاحظ كيف يستثمر ابن تيمية منهج الجدل والمناظرة للرد على مخالفيه في الرأي.

وإلى هذا الرأي يذهب سعيد فودة في قوله: "يتبين لنا إذن أنه إذا كان علم الكلام مؤلفاً في مفهومه من العناصر التي ذكرناها، وهي: ثبوت حق في علم التوحيد، إمكان معرفته، إمكان إقامة الأدلة العقلية أو النقلية عليه، فإنَّ ابن تيمية متكلِّمٌ كغيره من المتكلمين، فهو يقول بجميع عناصر هذا العلم الشريف، لا يخالفه المتكلمون إلا كما يخالف بعضهم بعضاً، أعني في النتائج التي وصل إليها، فهو صاحب مذهب خاصٍّ."[1].

هدفنا من إثارة موقف علماء الإسلام من علم الكلام، هو أن نبين أن الموقف اتُّخذ من القضايا التي عالجها المتكلمون قديما في مرحلة متطورة لعلم الكلام، والمتعلقة بالذات الإلهية والأسماء والصفات، وهي مواضيع بلا شك أفرزتها أسباب تاريخية لها علاقة بالزمن الذي نشأ فيه علم الكلام والتطورات التي عرفها، وأيضا بالتيارات الفكرية والعقدية ذات التوجه التشبيهي والتجسيمي والعرفاني، ومن ثم لم يكن للمتكلمين خيار إلا الرد على هذه التوجهات الفكرية والعقدية، ومادامت مواضيعها ترتبط بالذات الإلهية، وجب أن يتعرضوا للمواضيع نفسها ويبينوا التصور الإسلامي فيها، فحاولت كل فرقة تنزيه الله وتوحيده، وفق تصورها وفهما للتوحيد القرآني وتنزيهه لله ﷻ، ولا نريد تقويم تصور كل فرقة في ما ذهبت إليه، ولكن الذي يهمنا من ذلك هو المنهج المتبع، هذا المنهج القائم على التحليل العقلي للقضايا

1- سعيد فودة، موقف ابن تيمية من الأدلة العقلية

المختلفة، الذي يتميز به الفكر الإسلامي عن غيره. لكن مع الأسف أصبح الإسلام اليوم ينعت باللاعقلانية إذ كان هذا الادعاء موضوعا من أهم مواضيع محاضرة البابا "المقارنة" بين المسيحية والإسلام، فبخلاف المسيحية المبنية على الفكر اليوناني المنطقي، فالإسلام دين لا عقلاني يقوم على العنف. مع أن التاريخ والدراسات النقدية والعلمية التي قام بها المسيحيون قبل المسلمين، أثبتت أن الديانة المسيحية هي أبعد الأديان على العقل[1]، ويكفي أن ننقل هنا قولا للجاحظ: "ولو جهدت كل جهدك، وجمعت كل عقلك لتفهم قولهم في المسيح، لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الإلهية. وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه

1- لقد ناقش عقلانية المسيحية التي مجدها البابا في محاضرته كل من الدكتور رضوان السيد، في رده على البابا في مقال له بعنوان: البابا والتاريخ والعوالم الجديدة.. والإسلام، على موقع إسلام أولاين بتاريخ 12 دجنبر 2011:

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-Shariah/SRALayout&cid= 1173694851970

وكذلك الدكتور عبد المجيد الصغيّر، في كتابه: قناعات معرفية أم أهداف استراتيجية؟ مراجعة نقدية لمحاضرة بابا الفاتيكان حول الإسلام، تقديم طه عبد الرحمن، الرباط دار أبي رقراق، الطبعة الأولى 2008.

يمكن الرجوع إيضا إلى كتابنا "تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي"، تقديم عبد المجيد الصغيّر، دار صفحات دمشق الطبعة الأولى 2009. خصوصا الفصل الثاني من الباب الأول عند حديثنا عن كيفية تقنين الكتب المقدسة في مجمع "ترنت"، وخضوعها للتصويت والاقتراع بعيدا عن كل المعايير العقلية والمنطقية. ص: 107 وما يليها.

وأبيه وهو نسطوري مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف أخيه وصنوه. وكذا جميع الملكانية واليعقوبية، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية، كما نعرف جميع الأديان"[1].

إن ما يحتاجه الفكر الإسلامي اليوم، هو استثمار جديد للمنهج الكلامي فهذا الأخير وُضع –على الأقل عند نشأته– لإيجاد حلول للمشاكل الطارئة في حياة المسلمين فكريا وعقديا وسلوكيا أيضا، متخذا مرجعية إسلامية مائة بالمائة هي مرجعية الوحي الإلهي. ولكن قبل البحث عن الحلول يلزمنا بادئ ذي بدء تشخيص المشكلة وتحديدها.

أظن أن لا أحد يخالفني الرأي في القول إن من أهم أسباب تخلف المسلمين، هو فصلهم بين ما هو عقدي وما هو عملي، بدعوى أن العقيدة تناقش قضايا كما قلنا مجردة تدخل في باب الترف الفكري، بينما ما يحتاجه المسلمون دراسة لواقعهم العملي، ولقد أشرنا من قبل أن علم العقيدة لم ينفصل قط عن واقع المجتمع، بالإضافة إلى أن الممارسات التي يتخذها الناس في واقعهم المعيش، هي تجل لمعتقداتهم وتعبير عنها، فالذي يغش في معاملاته أو يخون أو يزني فهو بلا شك قليل الإيمان، وكذلك الذي يتردد على المسجد ويعمل الخير ويصلح في الأرض هو بلا شك على درجة من الأيمان أعلى من الأول، بدليل ما نصت عنه الآيات القرآنية التي تربط دائما الإيمان بالعمل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

1- الجاحظ عثمان أبو عمرو، رسائل الجاحظ، الجزء الثالث، القسم الأول من الفصول المختارة من كتب الجاحظ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، من كتابه في الرد على النصارى، بيروت دار الجيل، الطبعة الأولى 1411هـ/1991م ص: 324.

خَالِدُونَ﴾[1]، وقوله ﷺ: "من رأيتموه يتعهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان"، فبعد أن كانت تجليات العقيدة الإسلامية من توحيد ونبوة وبعث وحساب وجزاء، ظاهرة في كل أعمال المسلمين المعماري منها والفني والحضاري باتت اليوم لا تبرح مكانها في القلوب. دون أن ننسى الانبهار بالحضارة الغربية والتيارات الفكرية الهدامة التي دخلت المجتمعات المسلمة عن طريق الاستعمار، والتي استهدفت أساسا زعزعة العقيدة الإسلامية من خلال الحملات التنصيرية وإثارة الشبهات حول الإسلام ونبيه وكتابه.

والحقيقة أن الشبهات المثارة ضد الإسلام، والتيارات الفكرية الهدامة التي يتعرض لها المسلمون اليوم، لا تختلف عن ما تعرضوا له من قبل، ولا تزال شبهات يوحنا الدمشقي وعبد المسيح تُروج إلى اليوم وتعاد صياغتها بأساليب مختلفة شكلا لا مضمونا، ولكن الشبهات قديما، وجدت مسلمين أقوياء استطاعوا ردها أمثال القاضي عبد الجبار والباقلاني وابن حزم.. في حين وجدت اليوم عند المسلمين ضعفا حضاريا ودينيا وفكريا، زادت من حدته التطورات الفكرية والمنجزات العلمية للغرب، فما استطاعوا لها ردا ولا استطاعوا إعادة صياغة الردود الإسلامية القديمة، فبقوا مكتوفي الأيدي أمام انتشار المرض في جميع أعضاء جسدهم ينتظرون حلول ساعتهم. فانتشر الفكر المادي بين صفوف الشباب والفكر العلماني بين صفوف المثقفين وذوي القرار السياسي والتربوي، والانحلال الخلقي بين النساء.

إذا كانت المشكلة إذن هي الفصل الذي عرفه المسلمون بين العقيدة والعمل والسلوك، فما هو الحل؟

1- سورة البقرة، آية: 82.

أشرت من قبل إلى الحديث النبوي الشريف الذي يشير إلى أن العلماء هم ورثة الأنبياء، ولعل الجامعات الإسلامية بأساتذتها لها نفس الدور باعتبارها مقر تواجد هؤلاء العلماء ومنها يتخرجون، وإذا كانت الجامعات الإسلامية معنية بشكل عام، فأقسام العقيدة ومقارنة الأديان معنية بشكل أكبر، لكونها تدرس هذه المادة وتضع لها البرامج الكفيلة ليكون تدريسها سهلا ومحببا لدى الطلبة.

إذا علم هذا، فلابد لهذه المؤسسات الجامعية والأقسام المتخصصة أن تجتهد في وضع برامج علمية رصينة، تمكن من استيعاب التاريخ الإسلامي بعلومه، وتأخذ بعين الاعتبار واقع المجتمع الحالي، وتمكّن من الإطلاع على التيارات والمذاهب الفكرية الأخرى القديم منها والحديث.

وما نقترح ليس بالجديد فإذا نظرنا في كتب السابقين من علماء العقيدة ومقارنة الأديان، يمكننا استخلاص معالم المنهج الواجب إتباعه في مؤسساتنا الجامعية، لمواجهة التحديات المعاصرة، لذلك سنقف مع مقدمة كتابين اثنين، ثم بعد ذلك نستخلص المعالم الكبرى لهذا المنهج، أول هذين الكتابين هو "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" لأبي الريحان البيروني 403هـ، ولعل أول ما يثير الانتباه في هذا الكتاب عنوانه، فقد اشتمل على كلمات مهمة جدا وهي: "تحقيق"، "مقولة" "العقل"، وما أحوجنا اليوم إلى تحقيق الآراء والأقوال والمذاهب، حتى لا نُقَوِّل الناس ما لا يقولون، ولا نفتري عليهم الكذب، وتأكيده على الـ"مقولة" يدل على أن مقالات الهند هي محط نظره، وموضوع بحثه وليس الهند لذاتهم، أما كلمة "العقل" فتشير إلى أن الرجل سيعرض هذه الأقوال على ميزان العقل، فهذا الأخير قوة مشتركة بين البشر لا ينكره حكمه إلا جاهل، فلم يعرض آراءهم ومقالاتهم على القرآن،

فهذا الأخير غير مسلم به عند المخالف، والبيروني يستقي منهجه من القرآن نفسه، فكتاب الله حرم الكذب على الناس مؤمنين أو كافرين، وحذر من أن يحمل بغض بعض الناس على ظلمهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، واهتم بالقول لا بصاحبه: ﴿**وَقَالَتِ** الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ **وَقَالَتْ** النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ **قَوْلُهُم** بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ **قَوْلَ** الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾[2] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ **قَالُواْ** إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[3]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ **قَالُواْ** إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾[4]، ولا يوجد كتاب سماوي مجّد العقل كالقرآن الكريم واعتبره مناطا للتكليف، وقوة بشرية قادرة على الحكم على الأشياء وتمييز الغث والسمين فيها.

لقد جعل هذا المنهج القرآني أبا الريحان البيروني، لا يكتفي بسماع الخبر عن العقائد في الهند، لذلك شد الرحال إلى البلد وتعلم لغة أهله حتى يكون على بصيرة من عقائد الناس وعلى بينة من عاداتهم، لأن الإخبار عن الناس في معتقداتهم أكثر من غيره تعرضا للكذب: "فمن مخبر عن أمر كذب يقصد فيه نفسه فيعظم به جنسها لأنها تحته أو يقصدها فيزري بخلاف جنسه لفوزه فيه بإرادته، ومعلوم أن كلا هذين من دواعي الشهوة والغضب المذمومين. ومن مخبر عن كذب في طبقة يحبهم لشكر أو

1- سورة المائدة، آية: 8.

2- سورة المائدة، آية: 17. والآية: 72.

3- سورة المائدة، آية: 17. والآية: 72.

4- سورة المائدة، آية: 73.

يبغضهم لنكر، وهو مقارب للأول فإن الباعث على فعله من دواعي المحبة والغلبة. ومن مخبر عنه متقربا إلى خير بدناءة الطبع أو متقيا لشر من فشل وفزع. ومن مخبر عنه طباعا كأنه محمول عليه غير متمكن من غيره وذلك من دواعي الشرارة وخبث مخابئ الطبيعة. ومن مخبر عنه جهلا، وهو المقلد للمخبرين وإن كثروا جملة أو تواتروا فرقة بعد فرقة فهو وهم وسائط فِيما بين السامع وبين المتعمد الأول، فإذا اسقطوا عن البين بقي ذاك الأول أحد من عددناه من المتخرصين والمجانب للكذب المتمسك بالصدق هو المحمود الممدوح عند الكاذب فضلا عن غيره، فقد قيل " قولوا الحق ولو على أنفسكم".

وبيّن البيروني أن الاكتفاء بما يكتبه المخالفون عن أعدائهم، لا يمكن الركون إليه لاحتمال الازراء عليهم، وهو ما أشار إليه في المقدمة لما أعطى مثالا عن هذه الأحكام الخاطئة، التي روجت ضد المعتزلة في قوله: "وكنت ألفيت الأستاذ أبا سهل عبد المنعم بن علي ابن نوح التفليسي أيده الله مستقبحا قصد الحاكي في كتابه عن المعتزلة الازراء عليهم في قوله: "إن الله تعالى عالم بذاته" وعبارته عنه في الحكاية أنهم يقولون إن الله لا علم له تخييلا إلى عوام قومه أنهم ينسبونه إلى الجهل، جل وتقدس عن ذلك وعما لا يليق به من الصفات، فأعلمته أن هذه طريقة قل ما يخلو منها من يقصد الحكاية عن المخالفين والخصوم، ثم إنها تكون أظهر فيما كان عن المذاهب التي يجمعها دين واحد ونحلة لاقترابها واختلاطها، وأخفى فيما كان عن الملل المفترقة وخاصة ما لا يتشارك منها في أصل وفرع وذلك لبعدها وخفاء السبيل إلى تعرفها والموجود عندنا من كتب المقالات وما عمل في الآراءِ والديانات لا يشتمل إلا على مثله".

ويشير البيروني في مقدمته هذه إلى أنه ترجم كتابين في عقائد الهند حيث يقول: "وكنت نقلت إلى العربي كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجُودات، واسمه "سانك" والآخر في تخليصِ النفس من رباطِ البدنِ ويعرف "بياتنجل" وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم، وأرجو أن هذه ينوب عنهما وعن غيرِهما في التقرير ويؤدي إلى الإحاطة بالمطلوب بمشيئة الله."

وهنا يقرر البيروني أهمية معرفة لغة أصحاب العقائد الملل غير الإسلامية، إن لم يكونوا عربا، إذ الترجمات قد تكون سببا في تشوه بعض العقائد والأفكار، وما أحدثته الترجمة السبعينية في العقيدة المسيحية يعتبر دليلا واضحا على ذلك، فقد ذكر شارل جينيبير أنه بسبب هذه الترجمة دخلت لفظة "ابن الله" للعقيدة المسيحية، حيث يقول: "فاليهود كانوا يطلقون عبارة خادم يهوه على كل إنسان يظنون لديه إلهاماً منه، والتوراة السبعينية كثيراً ما تترجم هذه العبارة إلى اليونانية بكلمة تعني في وقت واحد خادماً أو طفلا "[1].

من خلال ما ذكره البيروني يمكن تحديد منهجه في:

القاعدة الأولى: الاحتراز من الأخبار التي تُحكى، وعدم الاكتفاء في معرفة العقائد بما يُحكى عن الفرق من طرف مخالفيهم، وضرورة الوقوف على آرائهم كما هو منصوص عليها في مصادرهم الأصلية.

القاعدة الثانية: ضرورة ضبط لغات المصادر الدينية الأصلية لأهل الملل والنحل.

1- شارل جينيبير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص: 135.

القاعدة الثالثة: قول الحق وتقريره بغض النظر عن مُصدِّره، إذ الحق أحق أن يتبع سواء صدر عن المسلم أو غيره.

أما الإمام ابن حزم فإن المطلع على مقدمة كتابه الفصل في الملل والأهواء النحل يتبين له أن ابن حزم كان واضحا في المنهج الذي سيتبعه في نقد العقائد والملل المختلفة، إذ لم ينف اهتمام من سبقه من العلماء بهذا العلم، لكنه عاب عليهم المنهج الذي اتبعوه، يقول ابن حزم: "فان كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتبا كثيرة جدا، فبعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلا عن الفهم، قاطعا دون العلم، وبعض أحذف وقصر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة، وظالما لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخسا حق من قرأ كتابه، إذا لم يغنه عن غيره. وكلهم إلا تحلة القسم، عقد كلامه تعقيدا، يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد، حتى صار ينسي آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم، فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله، قال أبو محمد رضي الله عنه: فجمعنا كتابنا هذا، مع استخارتنا الله عز وجل في جمعه، وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية، أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد، على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلا مخرجها إلى ما أخرجت له، وألا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط، إذ ليس الحق إلا ذلك، وبالغنا في بيان

اللفظ، وترك التعقيد، راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل، وهو تعالى ولي من تولاه ومعطي من استعطاه، لا إله إلا هو وحسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

لقد ركز ابن حزم في مقدمته هاته على أمرين اثنين هما:

- أولا: بيان خطأ من سبق من العلماء الذين كتبوا في افتراق الناس في ديانتهم؛ ذلك أن بعضهم أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب مما حال بينه وبين الفهم الصحيح لهذه الديانات والمقالات فكان متقولا عليهم، وأما البعض الثاني فأضرب عن كثير من قوى معارضات الخصم فكان غير منصف لنفسه وظالما لخصمه باخسا حق قارئه، وبهذا يتبين أن الرجل كان مطلعا على ما أُلف قبله في الموضوع محيطا به.
- ثانيا بيانه للمنهج الذي سيتبعه في كتابه المتمثل في إيراد البراهين والحجج الدامغة، واستعمال الألفاظ البينة وترك التعقيد.

من خلال هذين الأمرين الذين ركز عليهما ابن حزم في مقدمة كتابه، نستخلص بعض القواعد الأساسية التي يقوم عليها علم العقيدة ومقارنة الأديان عند ابن حزم، وهي قواعد كما سنرى تبقى قائمة وصالحة في كل مكان وزمان.

- **القاعدة الأولى**: ضرورة الفهم الصحيح للديانة موضوع الدرس، من خلال الرجوع إلى المصادر الأساسية المعتمدة عند معتنقي الديانة بلغاتها الأصلية، وعدم الاقتصار على ما كتب أو قيل عنها.

1- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص: 35-36

- القاعدة الثانية: اجتناب الأغاليط والمغالطات والسفسطة، لأن القصد من دراسة الأديان هو بيان الحقيقة وليس الانتصار والتغلب على الخصم، وضرورة الرجوع إلى الحق وإن كان مع الخصم.

القاعدة الثالثة الوقوف مع كل اعتراضات الطرف الآخر، قويّها كضعيفها والرد عليها بالأدلة العقلية، وعدم الاقتصار على الضعيف منها، لأن عالم العقيدة ومقارنة الأديان الحقيقي هو الذي يبذل الجهد من أجل التدليل والبرهنة على بطلان ادعاءات الخصم القوية قبل الضعيفة.

القاعدة الرابعة عدم اللجوء إلى العبارات والمصطلحات غير المفهومة عند المخالف، أو عند غيره، وضرورة الابتعاد عن التعقيد، لأن الهدف هو إيصال الحقيقة لجميع الناس باختلاف درجات فهمهم وعلمهم.

القاعدة الخامسة إيراد البراهين العقلية على صحة أي ادعاء، لأن العقل قوة صالحة للحكم على الأشياء وميزانا توزن به صحة القضايا وفسادها عقدية كانت أو غير عقدية.

القاعدة السادسة اعتماد منهج المناظرة والحجة والجدال الحسن الذي أوصى به القرآن لإثبات الحقائق، فابن حزم كما ذكرنا يرى أن "من ينهى عن المناظرة والحجة فليعلم أنه عاص لله عز وجل مخالف لملة إبراهيم ومحمد"[1].

لا ريب أن القواعد المذكورة هي قواعد مستمدة من القرآن الكريم نفسه الذي يدعو إلى الجدل مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ويأمر باعتماد العقل وتجنب التعصب والتقليد وافتراء الكذب على الناس.

1- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة السعادة الطبعة الأولى الجزء 1 ص: 21.

ومادامت الجامعات في الوقت المعاصر هي من حمل المشعل بعد الأنبياء، لاحتضانها العلماء، ومادام أكبر دور منوط بالمؤسسات الجامعية اليوم هو تكوين شباب مسلم يتحمل مسؤولية إظهار الدين وحفظه والذود عنه، فلا يمكن الحصول على شباب مسلم بهذه المواصفات إلا إذا تحملت الجامعات بأطرها التربوية مسؤوليتها كاملة، ومادامت أقسام العقيدة ومقارنة الأديان معنية أكثر من غيرها من الأقسام بتدريس العقيدة والأديان، فهي مطالبة بوضع خطة علمية استراتيجية تهدف إلى مواجهة التيارات الفكرية المختلفة التي تتهدد مستقبل الإسلام والمسلمين، وإنه لمن حسن الحظ أن جامعة الأمير عبد القادر لها من الإمكانيات التنظيمية ما يساعدها على ذلك، حيث إنها تتوفر على قسم للعقيدة ومقارنة الأديان، يلتحق به الطلبة من أول سنة ويخضعون فيه للتكوين لمدة ثلاث سنوات، ثم بعدها يلتحقون بالماستر لمدة سنتين، وبسلك الدكتوراه لثلاث سنوات أخرى أو خمس، أي ما مجموعه ثمان أو عشر سنوات وهي سنوات إذا أحسن استثمارها يمكن أن يصبح الطالب متمكنا من المادة ومتخصصا فيها.

وحيث إن **الاجتهاد المنشود** والصرح المؤسساتي الذي نتمنى أي يصل إليه قسم العقيدة ومقارنة الأديان بجامعة الأمير عبد القادر، **لا يمكن أن يتحقق** إلا بتوفير الموارد البشرية المؤهلة من خلال التكوين المتين لعلماء مفكرين متنورين، **يجمعون بين المعرفة المعمقة بعلوم الإسلام، والدراية بمناهجها، وبين الانفتاح على الحوار والتفاعل مع مختلف العلوم الإنسانية، والتعايش مع قيم الفكر الإنساني، في أنبل مقاصده، والتمكن من لغة التواصل معه أخذا وعطاء،** كي يواصلوا مسيرة أسلافهم، الذين أسهموا في بناء الحضارة، وتطوير الفكر، ونشر قيم

المعرفة الحقة، فلابد من التحديث المحكم لهياكل أقسام العقيدة ومقارنة الأديان، حتى تستطيع النهوض بالمهام الموكولة إليها في **تكوين أطر وعلماء متنورين، مستوعبين لحقائق الشريعة الإسلامية الغراء، ومقاصدها السامية، وقادرين على التفاعل مع مختلف مصادر المعرفة الإنسانية، ومؤهلين للحوار العلمي والحضاري الجاد مع أندادهم من أصحاب الملل والنحل الأخرى،** دفاعا عن قيم الإسلام وعقائده القائمة على التسامح والمحبة والأخوة الإنسانية.

فيكون الهدف ليس تكوين علماء في الشريعة الإسلامية فحسب، وإنما تكوين علماء وأطر في الشريعة الإسلامية منفتحين على باقي العلوم الإنسانية الأخرى والمذاهب الفقهية المختلفة، يستعيد المكانة العلمية القديمة التي كان يتميز بها علماء الإسلام، والتي لم تكن تقتصر على تلقيهم العلوم الشرعية وتلقينها، بل تمثلت أيضا في إطلاعهم الواسع على ما يجري حولهم في محيطهم القريب والبعيد. والمسلم اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى هذه المعارف الأخرى، إذ بات بفضل تطور تقنيات التواصل والإعلام معنيا بكل ما يجري في العالم من أحداث ومستجدات معاصرة، ومدعوا أيضا للإسهام في حل المعضلات والمشكلات الإنسانية، ولن يتأتى له ذلك وهو في غفلة من أمره عن هذه العلوم التي هي في الحقيقة الآليات الكفيلة لإيجاد حلول لهذه المعضلات، ولعل هذا ما يبرز أهمية اللغة في التواصل مع الآخر والقدرة على الإطلاع على نصوصه الدينية والفكرية، هذه الأهمية التي باتت فرض عين على كل منتم لهذا القسم.

إن مهمة القسم هي تكوين العلماء والباحثين في العلوم الإسلامية المتخصصة والمعمقة عموما ويعهد إليه، بصفة خاصة، بمهمة **تنمية البحث العلمي**

في مجال العقيدة والفكر الإسلامي وعلم مقارنة الأديان ولعل التركيز على علم مقارنة الأديان وربطه بالعقيدة ارتباطا وثيقا لا ينفك عنها، فرضته ضرورة العصر فبات من العلوم التي لا غنى للعالم الشرعي عنها عموما وعالم العقيدة خصوصا، بل إنه من العلوم التي تدفع المهتم بها ليكون أكثر احتكاكا بباقي العلوم الإنسانية؛ إذ المقارنة بين الأديان تتطلب دراسة الأديان وأهلها، تاريخيا وفلسفيا واجتماعيا واقتصاديا ونفسيا وأنتروبولوجيا، وذلك صلب العلوم الإنسانية، وقد فطن العلماء المسلمون الأوائل الذين اعتنوا بدراسة العقائد والملل والمذاهب ومناقشة أهلها إلى أهمية هذه العلوم، وندرك إحاطة هؤلاء الأعلام بالعلوم الإنسانية من خلال الإطلاع على مؤلفاتهم التي تعنى بالملل والنحل، ولعل كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري الأندلسي أشهر هذه المؤلفات التي تعكس إحاطة صاحبها بهذه العلوم، ففيه ما يدل على معرفة ابن حزم بعلم التاريخ وعلم الجغرافيا وعلم الفلك وعلم الفلاحة والمنطق والحساب والهندسة وغيرها من العلوم[1].

1- يمكن الرجوع إلى كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمان عميرة، بيروت دار الجيل الطبعة الثانية 1996م، لملاحظة اهتمام ابن حزم بالعلوم الإنسانية واستعماله لها في مناقشته للملل الأخرى، راجع استفادته من علوم الجغرافيا الصفحة: 203 و204 و218 و 224 الجزء الأول، وأفاد أيضا من علم الفلاحة واستعمل معلوماته بها في الرد على أقوال إنجيل متى بقوله: "قال أبو محمد حاشى للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام لكن النذل الذي قاله كان قليل البصارة بالفلاحة وقد رأينا نبات الخردل ورأينا من رآه في البلاد البعيدة فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئا منه يمكن أن يقف عليه طائر ومثل هذه المسامحات لا تقع لنبي أصلا فكيف لله عز وجل" نفسه ص: 79 الجزء الثاني.

من هنا لابد من تكوين معمق لطلبة القسم في مجال الدراسات والعلوم الإسلامية عموما **واللغات وأصول الأديان والدراسات العقدية والدينية والمذهبية المقارنة خصوصا**؛ - تكوينا يؤهلهم تأهيلا علميا معمقا في المجالات المذكورة، حتى يكونوا قادرين على البحث والتأصيل **والمشاركة العلمية في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة، وحوار الأديان.**

إن مهمة القسم جسيمة تتمثل بالإضافة إلى التكوين في العلوم الإسلامية، في التكوين في اللغات وأصول الأديان كما أشرنا، تكوينا يجعل طالب قسم العقيدة ومقارنة الأديان، قادرا على المشاركة العلمية في مجال القضايا الفكرية المعاصرة وحوار الأديان، وقد أشرنا من ذي قبل أن المعرفة بأصول الأديان لن تتأتى إلا بالإطلاع على كثير من العلوم الإنسانية التي تعد ركنا أساسيا في الدراسات الدينية المقارنة في الغرب، فالمنهج الفيلولوجي ومنهج النقد التاريخي بشقيه الداخلي والخارجي من المناهج التي قامت عليها حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب، ولا يمكن فهم أصول الدراسات المسيحية واليهودية بدونها، كما ارتبط البحث في الكتب المقدسة في الغرب بالكشوف الأركيولوجية والتاريخية العلمية الحديثة لمنطقة الشرق الأوسط، وإذا لم تكن له معرفة بذلك فلن يستطيع أن يمضي قُدما فيها.

وعليه فإن الهدف الذي يتعين على القسم أن يضعه نصب عينيه خلال التكوين الذي يقدمه لطلبته في الإجازة والماستر والدكتوراه، هو تكوين الطالب تكوينا

وتمكن بفضل ضبطه للهندسة وحساب المساحات من بيان كذب التوراة في عدد قبائل بني إسرائيل الداخلين إلى الأرض نفسه ص: 262-263 الجزء الأول.و الصفحة:216-217، الجزء الأول. والصفحة 242 من الجزء الأول.

علميا متخصصا في العقيدة ومقارنة الأديان، وتمكينه من اكتساب المعارف اللازمة لفهم أصوله واستيعاب أحكامه ومعرفة المذاهب الفقهية والفقه المقارن، **كما يهدف إلى تكوينه تكوينا متينا في مجال اللغات الأجنبية بما فيها اللغات الشرقية القديمة، وتمكينه من المعرفة الدقيقة بتاريخ الأديان المقارن وبالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والإدارية الحديثة. وتمكين الطالب في الماستر من التخصص العلمي العميق في العلوم والمعارف الإسلامية والإنسانية والاجتماعية. يمكنه من اكتساب مناهج البحث العلمي في المجالات المشار إليها أعلاه، ومعرفة أصول المناظرة وأساليب التواصل.**

فلو استطاع الطالب الإلمام ببعض هذه العلوم الإنسانية وتكوين فكرة بسيطة عن بعضها الآخر لكانت له قيمة مضافة وتمييزا له عن باقي المتخريجين.

خاتمة.

نرجو من خلال ما قدمناه من مقترحات لقسم العقيدة ومقارنة الأديان، أن نكون قد أسهمنا ولو بشيء قليل في تطوير هذه القسم، ولا نريد أن نختم هذه المداخلة دون التأكيد على ما يلي:

ضرورة الاهتمام باللغات عموما، وعلى وجه الخصوص بالعبرية والفارسية واليونانية واللاتينية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية.

ضرورة الاهتمام بالعلوم الإنسانية، علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والمنطق والتاريخ والقانون، والفيلولوجيا والنقد التاريخي.

ضرورة الاهتمام بآداب الشرق الأدنى؛ بالفكر البابلي والآشوري والمصري واليوناني.

ضرورة تخصيص فصل واحد على الأقل في سلك الدكتوراه بزيارة إحدى الجامعات الأجنبية، حتى يطلع الطالب عن قرب على حقيقة العقيدة أو الديانة التي ينجز بشأنها بحثه للدكتوراه وهذا يتوقف على معرفة لغتين أجنبيتين على الأقل، من بين الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية.

وذلك حسب التخصص الذي يريده الطالب، والجامعة الأجنبية التي يستوجه إليها لإتمام بحثه للدكتوراه؛ فالذي يختار الفكر اليهودي لا غنى له عن اللغة العبرية، وفكر وآداب الشرق الأدنى القديم، والفيلولوجيا والنقد التاريخي. والذي يختار الفكر المسيحي يحتاج إلى اللغتين اليونانية واللاتينية، والفلسفة اليونانية والأساطير اليونانية، بالإضافة إلى الإطلاع على الفكر الغربي وعلاقته بالكنيسة في أوروبا. والذي يختار الفكر الشيعي لابد له من الفارسية، ومن دراسة مدى علاقة هذا الفكر بالفكر اليهودي والمسيحي، بعيدا عن الأحكام المسبقة.